

الفلكور الشعبي اللحجي بين التغني بالأصالة والخوف من الانقراض

لحج الخضراء الغناء.. كنز للرقص الشعبي المتنوع.. فهل نحافظ عليه بالمنهجية والدراسة والتوثيق؟

لاشد أن لحج الخضراء الغناء لحج الوادي والزراعة والسيل.. وبساتين الحسيني والمبيل لها خصوصيتها التاريخية والطبيعية والجغرافيا والاجتماعية التي انعكست في العادات والتقاليد والأعراف والاحتفالات والأفراح والطقوس المختلفة.

حضور الحصاد والسيول والزراعة في الرقص اللحجي

ولذلك فإن الرقصات اللحجية والفلكور اللحجي يضيء عليه روح حياة سكان الوادي والزراعة والسيول وأساليب الانتاج الزراعي فضلاً عن ذلك فإن الرقصات اللحجية تميزت بالخفة وسرعة الحركة والإيقاع السريع وهي مستلهمة من طقوس استقبال سيول وادي تين وماتتطلبه تلك الطقوس من الجري وسرعة الحركة لأعمال حرت الأرض وترشيد تدفق مياه السيول حتى يستفيد الجميع منها مع مانصاحبها من اصوات مباشرة بقدم الوادي ..مثل عبارة (حطوب سيلوه) (يايخت الرعية يايخت الريان) لذلك جاءت الرقصة اللحجية سريعة مثل الإيقاع السريع كرقصة الشرح السريعة وإيقاعها السريع بالليل والهاجر مما يعطي صورة حقيقية عن علاقة سكان محافظة لحج اليمينية بالأرض إذ تنتوع الرقصات في المناسبات الدينية والأعياد ومراسم الزواج وفي موسم الزراعة والحصاد وتعتبر الرقصات الزواج سواء ليلة عقد القران أو ليلة الحنا أو ليلة النخلة وهي سيدة الاحتفالات ..مصحوبة بأصوات الطبول والهاجر والمراويس بمصاحبة الزغاريد «المحجرة» حيث تغني البنات مع الطبلات أغاني جماعية في حلقة وسط منزل العريس وأحياناً يكون رقصاً فردياً أو ثنائياً خلافاً للرقصات البطيئة كرقصات الساحل التي يرقصها أهالي حضرموت وكذلك خلافاً للرقصات (النط) الفلز مثل رقصات سكان الجبال كرقصة الركلة في المناطق الساحلية.

طقوس الرزحة

من الرقصات التي اشتهرت بها محافظة لحج رقصة (الرزحة) وهي رقصة شعبية يقوم بأدائها صغان من الرجال والنساء في أيام جني المحاصيل من الحبوب أو كما نسمية باللهجة العامية في لحج (الضرب) وفي هذه الرقصة يتقابل الصغان في إيقاع منظم يدق الرجل اليميني بالأرض ويسير الصف بنفس الإيقاع حتى يصل الى الصف المقابل له مقتربا منه ثم يعودان الى الخلف حتى وصوله الى موقعه السابق بنفس الحركة ثم يقوم الصف الآخر بنفس الطريقة بينما أصحاب الإيقاع (الطبول) يتحولون في وسط الحلقة (المدارة) ومن الأغاني التي تحمل الرزحة أغنية (أبو زيد بامسلي على خاطري) للشاعر الأمير أحمد فضل القمندان حيث يقول مطلعها:

ياعجيب عجبني عجب ماش عقلي وشله وهب

المخرص بقرط الذهب
يا مكل طويل الذهب
بت ساهر مع السامري
يا مؤصل عريق النسب
يسملي على خاطري

ويصبح للطبول والهاجر والعود دور كبير في إدخال البهجة على النساء اللواتي جئن ليشاركن العرسان لرحلتهما، ولذلك فالطبول والهاجر والمراويس يتجدد دورها بالدافع بمناسبة، وشكل الفرحة وهي هنا عنصر جمالي يؤثر ويرفع من قيمة الرقصة أو اللعبة والاستمتاع بها كعنصر تكميلي للفرح.

رقصة الدحفة

في تقنيده (الدحفة) يفيد الباحث الموسيقي معهد جميل غانم الأستاذ عبدالقادر قائد يقول: إن هذه الرقصة يلعبها رجل وامرأة أو رجلان وامرأتان في المدارة ويستخدم لأدائها إيقاعات الطبول (الهاجر) وأحياناً مع المراويس حيث تمتاز هذه الرقصة بخفة الحركة والحركات النظامية ومنها يحاول الرجل اختطاف أي شيء من المرأة أن خاتماً أم مربية أم مكرمة لكن المرأة تحترس من أن يخطف الرجل منها أي شيء مما ذكر آنفاً عند اقترابها منه.

وللشرح اللحجي ألوانه

رقصة الشرح اللحجي ذات الإيقاع السريع والحركة السريعة لها خصوصيتها في لحج فلا يجيد أصولها إلا اللحجي وخصوصاً عائلة الأمراء أو البيوت الراقصة التاريخية في لحج أو الفلاحون من سكان قرى الخداد والشقعة التي شكلت موقلاً للخلقات الفنية التي كان يحضرها شخصياً القمندان بل ويشارك الرقص أحياناً وهي رقصة يرقصها الرجال والنساء معاً وأصبحت قصة شعبية تؤدي على طيلة الهاجر والمراويس وهي رقصة رسة الخطوات.. ويوضح الباحث الموسيقي عبدالقادر قائد في كتابه بعنوان الغناء اليميني... إن هذه الرقصة تؤدي على طيلة الهاجر والمراويس وهي سريعة الخطوات ولها ألوان مختلفة ويطلق الألبان تحتفظ الألوان الشعرية إلا أن الإيقاع يظل واحد من أشعار وأغاني هذه الرقصة مثل أغنية (طبعك ليه صبح مقلوب).. و(هيمع عوض قال).. (وقال بوفضل سالم سبتك يا مهيد).

أما النوع الآخر من رقصة الشرح اللحجي فهو الشرح اللحجي الثقيل الذي يتميز بالرتابة والوقار ومايلحظ في حركات الراقصين انها يغلب عليها المط في الأداء كما أنه لا يخلف في تركيب ميزانه وحركاته الداخلية عن الإيقاع الشرحي الساحلي الشائع والمستخدم كثيراً في محافظة حضرموت غير إننا نلاحظ الفرق بينهما في السرعة فقط. فسرعة إيقاع الشرح اللحجي الثقيل بحسب الباحث الموسيقي عبدالقادر قائد على جهاز المترونوم هي ٨٤ ضربة بالإنش في الدقيقة بينما سرعة إيقاع الشرحي الساحلي تكون أنشط من ذلك وتقاوس بجهاز المترونوم بـ ١٠ ضربات بالإنش في الدقيقة مع إدخال بعض الزخارف والمحليات المقتبسة من إيقاع هندي مالوف تخرجه بعض الشيء عن طابعه المحلي حيث تتم رقصة الشرح اللحجي الثقيل بمصاحبة أغنية هيمع عوض الذي يقول مطلعها:

هيمع عوض قال ريت الأرض في ودره
ياسلي القلب مايات شيء مقبون
حتى ولا الناس ياتقي علي سمره
القلب ما طاق يقنع والهوى مسنون
لي أن تختمم الأغنية يقول،
هيمع عوض قال يا عطى خاطري جيره
مادام في القلب نيره بأذرف المخرزون

وهناك أغنية أخرى تصاحب رقصة الشرح يقول المطلع الأصلي للأغنية:

قال بو فضل سالم سبتك وامهيد
عدمتني الشيد ذي قذني من العصر شوفه
كود بوبكر يا يحكم علي بقيد
باليد وش هم سالم لا تقصص صفوفه
ويكلمها الشاعر صالح فقيه بالقول:
قل لبوزيد لاشيء تحسب القصد سيد
ما هو من العيد، ذا غاني منش كضوفه
وما يجدر ذكره أن رقصة الشرح اللحجي الثقيل يصاحبها معزف المسعودون الحريري الأصلي والعمامة الحريري الأصلي عند الراقصين الأمراء.

ماذا عن رقصة الدمندم؟

الدمندم هي رقصة شعبية من الفلكور الشعبي اللحجي يستخدم لأدائها الطبول (الهاجر والمراويس) ويلعبها اثنان رجل وامرأة وتتميز حركاتها بالخفة والسرعة، ويدير الرجل من خلال هذه الرقصة حول المرأة بخطوات سريعة لإختطاف مامعيا أكانت مربية أم خاتماً بينما هي (المرأة) تتبعد عنه ولاتمكته من أن ينال أي شيء منها مما ذكرناه، وهذه الرقصة يلعبها الناس في نهاية الحصاد الزراعي وأيام الأفراح والموايد ومن أشعارها هذا البيت للشاعر اللحجي فضل ماطر بغناء الفنان الشعبي المرحوم محمد علي الباشي الذي يقول في مطلعها:

شراحي كيه سمعوا الاوظاف
باعطي شراحه لا توكنونني

إن تراث أي شعب لا يقتصر على المدون المكتوب وإنما يشمل جانباً مهماً من حياة الشعوب متمثلاً في ألوان الفلكور المختلفة كالرقص الشعبي وهو تراث وثيق الصلة بنض الجمهور توثياً ويعبر عن ذاتية الشعب وهويته المتميزة مما يستدعي أمام ثقافة العولمة أو العالم الواحد أن تظهر الحاجة الشديدة للتمسك بالتراث والفلكور الشعبي والرقص الشعبي اليميني بمختلف ألوانه ورصده

وتوثيقه والعمل على تقنية دراسة منهجية للرقصات الشعبية اليمينية المختلفة في بيئتها الطبيعية أي المستوحاة من البيئة وتحليلها بشكل علمي من كافة عناصرها بإدنا مثلاً بمنطقة لحج الغنية بتراثها الفني الشعبي الأصيل لما تتمتع به من العديد من الرقصات الشعبية الفلكورية المختلفة.

تحقيق/ أحمد حسن عقربي



□ الشاعر عبدالله هادي سبيت

□ الشاعر الامير عبده عبدالكريم



□ الامير والشاعر الكبير القمندان

رقصات الحناء والشرح والدمندم والمرح تصدر فن الرقص اللحجي



تعدد الرقصات الشعبية اللحجية بتعدد مناسباتها وتختلف أشكالها باختلاف الإطار التي تعيش فيه

الاسراع في خلق مبادرات محلية لتنمية التراث الفلكوري

وجعله عنصراً أساسياً لانتشاره في مواجهة الطمس الموعول



□ ملك العود اللحجي الفنان فضل محمد

نجيم الصباح
نجيم الصباح
نجيم الصباح
نجيم الصباح
نجيم الصباح
نجيم الصباح

هذا مبرح وذا مشني
وأعطف على صاحب المضنا
ياجي نبكر وبنا أنغنا
وكلما عودوا عدنا
غن معاهم وهم معنا

حتى رقصة الزفنة لها أصولها !!

قد يتساءل المواطن من العامة ماذا تعني رقصة الزفنة؟.. فهي رقصة شعبية من الفلكور الفتي اللحجي ترقصها امرأتان بإيقاع الطبول (الهاجر والمراويس) وعلى كي وجه منهن مقرمة ومدبيل شفاف يغطي به الرأس.. مشدودة ببديهن ويؤدين هذه الرقصة وهن لا يساتن أفخر وأحسن ثيابهن وحليهن مثل دروع السقيم والشيقون والويل الأصلي المسمى بأبو تقاحة مع المقارم المعروفة آنذاك بمقرمة الشيلات وطريقة أدائها تبدأ بمد الرجل اليميني ودقتها على الأرض مع إيقاع الطبول ومن أشعار أغانيها المصاحبة لهذه الرقصة هي أغنية (ماشى كما): من كلمات الأمير عبدالله محسن والد الشاعر المرحوم المعروف الأمير عبده عبدالكريم ملحن الأغنية أيضاً الذي يقول فيها:

ماشى كما جبر الخواطر
يسليك لا أنته ألف ضاجر
لاقد عطاك الزين كلمة مليح
تمسى ويصبح خاطر ك مستريح

كما صاحبت هذه الأغنية أشعار الأمير علي بن أحمد فضل الذي يقول فيها:

بس الهوس
خني الهواسه لمن عاده ببسباسة
وقت المشيبة مضى غير الملبس
لبس الصغر في الكبر يزري بلباسه

ماذا قال مسرور مبروك عن هذه الرقصة؟

يقول الشاعر الشعبي مسرور مبروك في كتاب عيسى وصالح نصيب.. ان هذه الرقصة تسمى عند أهل المدينة (الزفنة) وتسمى عند أهل القرى (المرح) وللزيادة في التوضيح فإن الاختلاف يكمن في التسمية فقط أما الإيقاع فيظل كما هو في كلا التسميتين (إيقاع زفنة) وينطبق على المرشح أهل القرى نفس تعريف الزفنة في الإيقاع وآلاته وطريقة الأداء واللبس.

ترجّح لك ترجّح !!

رقصة المرشح كما عرفها الباحث الموسيقي والمحاضر في معهد جميل غانم الأستاذ عبدالقادر قائد هي رقصة شعبية لا تختلف عن رقصة الزفنة وتتطابق معها من حيث الأداء واللبس.. أما وجه الاختلاف بينهما فهو في الضروب الإيقاعية والألحان ونغمة المرشح هي مقدمة لحن (على المحبين شني يامطر نيسان).. ويوضح الباحث عبدالقادر قائد إن الأبيات الشعرية التي تجاري هذه الرقصة هي قصيدة (ياقلب مالك) للأمين أحمد فضل القمندان التي يقول فيها:

ياقلب مالك بالباء والأنين
ربك على هذا الهوى يايعين
على فراق الزين تمسي حزين
تشكي على القراء والسامعين
ماشفت حد الا حبيبك حسين
حتى ظبا الجنة ولا العور عين
إذا أنت في أمر المحبة فظين
عرفت خلك مسك والناس طين
على المحبين شني يامطر نيسان

رقصة الزفين المكلوي

يعرفها الباحث بن قائد بأنها رقصة شعبية شبيهة برقصتي الزفنة والمرشح وتسمى (بالزفين المكلوي) ينطبق عليها نفس وصف الزفنة من حيث اللبس فقط وتختلف عنها من حيث الضروب الإيقاعية والألحان وترقصها امرأتان وعلى رأس كل منهما مقرمة مشدودة بيدها اليميني أما يدها اليسرى فتمسك بالطرف الآخر للمقرمة ويؤدين هذه الرقصة بوجه مكشوف وهو عكس ما يحدث في الزفنة من تغطية للوجه بالمقرمة وحركة الرأس الى الأمام بشد المقدمة بيدها اليميني فيها نوع من النقل وتقترب من الإيماء بعكس ما يحدث في الزفنة والمرشح، فإن حركة الرأس الى الأمام بشد المقدمة باليدين وفيها دنو واضح أما الألبان التي ركبت على هذا الميزان مثل (دار الذي تهاوه).. و(قلبك في الهوى مرجوح رج) وايضاً للشاعر عبدالله هادي سبيت في قصيدة حاكم زمانه.. يقول مطلعها:

ما أنساك والله ما أنساك
كيف أنساك وأنت معي دايهم
دايم وسط قلبى أماته

ويسأونك عن مزف الجذبة؟

وهناك نوع من الايقاعات الشعبية يُعرف بإيقاع مزف الجذبة ويستخدم عادة في مواسم مولد وزيارات الأولياء في حوطة لحج وقراها مثل زيارة الولي سفيان بن عبدالله في قرية سفيان، وتواصل طقوس هذه الزيارة في حوش الكرود في لحج وكذلك زيارة الولي مزاحم بلجفار في لحج وزيارة الولي عمر بن علي في قرية الوهط.. ويبدأ المزف من منزل المنصب القائم على خدمة ضريح الولي والمسؤول هو وأسرته عن تنظيم هذه الزيارة والإشراف عليها يتقدمون حاملي البيارق وضرابي الطبول (الهاجر) ومن خلفهم صف من الشعبيين والغقال من كبار السن ويتوسطهم المنصب أو من ينوب عنه يتحرك الموكب وسط دقات الطبول ورنين أجراس البيارق وضجيجها ويطوف في بعض المدينة والقرية حتى يصل الى الموقف المحدد لأداء بعض طقوس الزيارة.

رقصة الركلة:

رقصة الركلة هذه الرقصة يرقصها سكان الجبال في المناطق النائية في محافظة لحج كمنطقة الصبيحة وهي تعتمد على الفلز ودق الأقدام في الأرض تعكس خصائص الحياة الجبلية إذ أن الناس كانوا حينما يقصدون منازلهم فوق الجبال يمارسون النط والفلز وتصاحب هذه الرقصة الطبول والمزمار كما يرقصها سكان السواحل في السقية وفقم وعمران.. وفي بعض المناطق ترقصها على شكل الدبكة السورية ورجال ونساء في السابق.

حتى لا يصبح الفلكور اللحجي مغموراً برياح النسيان !!

بعد هذا الاستعراض لفن الرقص الشعبي المتنوع والغني بفنون الرقص كجزء من الفلكور الشعبي اللحجي والفلكور اليميني بشكل عام.. لتلقى الضوء على هذا الكنز الثمين من الموروث الشعبي لنقف على ملامحه ودوره في إنعاش المتكوث الثقافي التاريخي والتراثي لشعبنا اليميني بل لعل للفلكور اللحجي والرقص الشعبي والفن الغنائي لهذا اللون من الفلكور اليميني بُعد أرسيفاً تراثياً فنياً مستقلاً بذاته مما يستدعي نقض عنه غبار رياح الإهمال المتراكمة التي طمرته حتى كاد يصيح في حكم المنسي أو المنقرض بحاجة إلى جمعه وتوثيقه حتى يفرغ ويعضرات الرقصات الفلكورية التراثية المهمة.. ويتوثقنا لهذه الرقصات الفنية الفلكورية الراقصة.. يتطلب منا منهجيتها ودراستها وتوثيقها والحفاظ عليها لأننا إذا ما فعلنا ذلك تكون قد حافظنا على عنصر من العناصر الثقافية الشعبية الثمينة وهو عنصر الرقص الشعبي في مواجهة المتغيرات السريعة والحاددة والمعولة نتيجة لانتشار وسائل الاعلام والفضائيات وعدم اهتمامنا بتنمية الفلكور الشعبي في الثقافة الشعبية اليمينية

واعلى إمعنا.. واعلى إمعنا
سعد يامسعود فاح عرف العود
اسقني الصهبا دمة العنقود
تجلي الكربة تشفي المارود
جلها بالله ياكريم الجود
يا مبرح قاتنا والمثنى
سعد يامسعود فاح عرف العود
في السمر لا قاتنا أصيل الجود
ذا كجيل العينين وردى الخد
يامسرنا به طيب وآتجدد
كلما طاب أحياننا طينا

وعند ظهور أول إشعاع للصباح ينتقل المغني الى أغنية (نجيم الصباح) حتى يصلوا بالعريس الى منزله في الساعة وربما تصل المسألة الى الثامنة والنصف صباحاً في بعض الأحيان سواء كان ذلك في مدينة الحوطة بلحج أو القرى الجاورة ومن أشعار هذه الرقصة أيضاً الأبيات التالية:

نجيم الصباح
نجيم الصباح
نجيم الصباح

أيش جلسك بعد ماغبنا
سامر على العود والحننا
يامر على الفن والحننا